حتى الأغنياء والمشاهير
يكتئبون وينتحرون

obeikandl.com

لا تعتقد أنك وحدك من يكتئب ؛ ولكن الأغنياء وكبار المشاهير يكتئبون ويصل حد اكتئابهم إلى ترك الدنيا والانتحار خلاصًا مما أصابهم من حُزن وأسى نتيجة الاكتئاب ؛ وذكرت مجلة "حياة" بالعدد الثاني هذا التقرير الذي ذكرت فيه :

حياة المشاهير عالم مليء بالمُفارقات ؛ كشريط من الأحداث المُثيرة والمُتتابعة ؛ وتدور الأحداث في عالم الأضواء ؛ ودائمًا ما يظهر المشاهير والابتسامة العريضة تعلو وجوههم ؛ وقد ارتدوا أفخر ما أنتجته بيوت الأزياء العالمية .

وطبعًا ترى عيون المُعجبين لا تكف عن مُطاردتهم والبحث عنهم ؛ وتلك هي حياة المشاهير في العالم كما تُصورها لنا دائمًا قنوات التليفزيون والصُحف ؛ فالمشاهير هم أصحاب السيارات الفارهة والبيوت الكبيرة وأرصدة البنوك المُرتفعة ؛ وهُم أصحاب الأضواء والشُهرة والمُعجبين ؛ فهُم فُرسان اللقاءات التليفزيونية ؛ والمُقابلات الصحفية .

ولكننا نتعجب بعد ذلك إذا علمنا أن كثيرًا من المشاهير مُصابون باكتئابات مُزمنة ؛ وقلق وأمراض نفسية عديدة أودت بكثير منهم إلى نهايات مأساوية لم يكن الانتحار أكثرها شناعة .

السر يكمن خلف الصور البراقة لحياة المشاهير ؛ ولا تكشف إلا عن أقنعة لامعة يرتديها أصحابها عند لقاء الجمهور ؛ أما في الحياة الخاصة فتسقط كُل الأقنعة حيث الشقاء والعذاب النفسي الذي يجثم على حياة كثير منهم دون رحمة أو هوادة ؛ والنهايات أكبر دليل على ذلك .

وإذا استعرضنا قائمة المشاهير الذين انتهت حياتهم بالانتحار فقد تتابع عندئذ الأسطر بشكل يصعب معه الإحاطة بكُل تلك الأسماء؛ وذلك فضلاً عن المشاهير الذين انتهت حياتهم في مصحات نفسية؛ أو في دور رعاية المُسنين؛ أو في وحدة قاتلة بعيداً عن أبسط معاني الرحمة والإنسانية؛ وإليك عدد قليل مما أكلهم الاكتئاب؛ وأدى بهم إلى الانتحار:

لا ينسى العالم اسم الروائي الأمريكي الشهير (أرنست همنجواي) الذي حاز بروايته الرائعة (الشيخ والبحر) جائزة نوبل للآداب؛ حيث أصبح بعد ذلك من رواد الأدب العالمي؛ وبلغت شُهرته الآفاق بكتابته للأدب الإنساني الراقي؛ الذي يصبه في قوالب روائية جميلة؛ ولكن همنجواي وجد نفسه وحيداً في آخر حياته رغم شُهرته الواسعة بين الناس؛ وبدأ المرض يفتك به؛ فقرر الخلاص من الحياة بطريقته الخاصة؛ وذلك عن طريق بُندقية قديمة كان يملكها؛ حيث وجهها إلى رأسه وأطلق النار ليخر صريعًا؛ وليصحوا العالم صباح أحد أيام ١٩٦١م على خبر انتحار الروائي الأمريكي الشهير.

وكثير منا يعرف الكاتب الأمريكي (دايل كارينجي) صاحب أروع الكتب في فن التعامل مع الناس؛ وصاحب أكثر الكُتب مبيعًا في العالم؛ حيث بيعت ملايين النسخ من كتبه؛ وتُرجمت إلى أكثر اللُغات العالمية؛ فهو صاحب كتاب "كيف تكسب الأصدقاء وتُؤثر في الناس" وكتاب "دع القلق وابدأ الحياة"؛ وقد وضع قواعد رائعة في كيفية طرد القلق والانطلاق في الحياة العامة بكُل سعادة وثقة.

ولكن كُل ذلك لم يمنع القلق من أن يُسيطر على حياة كارينجي؛ فعصفت الكآبة بحياته؛ وسادت التعاسة والشقاء أيامه؛ فقرر هو أيضًا التخلص من حياته عن طريق الانتحار؛ وكان له ذلك.

كذلك الفنان الهولندي الشهير (فان جوخ) والذي تُباع لوحاته اليوم في مزادات لندن وباريس بملايين الدولارات؛ وقد بيعت أخيرًا لوحته الشهيرة "زهور عباد الشمس" بستين مليون دولار.

وكان قد بدأ حياته قسيسًا؛ ثُم تحول إلى الرسم؛ واحترف هذا الفن حتى أصبح من أبرز الأسماء اللامعة عالميًا في مجال الفن التشكيلي؛ لكن ذلك لم يُحقق له السعادة التي كان يطلبها ويتمناها؛ وأراد أن يضع حدًا للشقاء النفسي الذي كان يُعانيه؛ وكان ذلك في يوم ٢٩ يوليو من عام ١٩٨٠ م؛ حيث أمسك مُسدسه وأطلق على نفسه الرصاص ليموت بعد ذلك بيومين؛ ووضعت زهور عباد الشمس التي كان يرسمها على قبره.

وفي العالم العربي هُناك العديد من الأسماء الشهيرة التي أنهت حياتها بالانتحار بسبب الخواء النفسي الذي كانت تُعانيه؛ نذكر من أشهرها الكاتب المصري (إسماعيل أدهم)؛ ذلك الشاب الذي حصل على الدكتوراه في الرياضيات من جامعة موسكو أيام فورة الشيوعية الماركسية.

لذلك فعندما رجع إلى بلاده كان قد امتلئ بالنظريات الماركسية حول الحياة والكون والتاريخ؛ وألف فيها عددًا من الكُتب كان أشهرها كتابه "لماذا أنا مُلحدًا" والذي أثار ضجة كُبرى في الساحة الثقافية آنذاك.

وكان إسماعيل أدهم يُجيد عددًا من اللُغات؛ وله كثير من الدراسات والكُتب والبحوث؛ لكنه كره الحياة التي لا تنتهي إلى شيء؛ فكانت النهاية؛ ففي يوم ٢٣ يوليو من عام ١٩٤٠م؛ فوجئت الأوساط العلمية والثقافية بخبر انتحار الدكتور إسماعيل أدهم بإلقاء نفسه في البحر على شاطئ الإسكندرية؛ حيث وُجدت جُثته؛ ووُجدت في ملابسه رسالة تُؤكد انتحاره بسبب سأمه من الحياة.

أما الشاعر اللبناني (خليل حاوي) فقد اختار نفس النهاية؛ فبعد ما سمع وهو في منفاه في استراليا بخبر اجتياح الجيش الإسرائيلي لجنوب لبنان وحصاره لبيروت عام ١٩٨٢ م أصابه حُزن عميق؛ وساده القنوط؛ فقرر الانتحار لإنهاء حياة العذاب التي كان يُعانيها؛ وأطلق الرصاص على نفسه.

وهُناك عدد كبير من النساء الشهيرات لاقين نفس النهاية؛ غير أنها كانت دون ضجيج كالرجال؛ حيث ينتهي الأمر بالتهام عدد كبير من الحبوب المنومة والتي تُؤثر تباعًا على القلب؛ فتكون النهاية المحتومة؛ ومن هؤلاء النساء اللائي لاقين هذا المصير (كريستينان أوناسيس) كانت من الأسماء اللامعة قبل عقود من الزمن؛ فهي ابنة الملياردير اليوناني أوناسيس صاحب الجُزر والأساطيل البحرية والطائرات والمليارات؛ والذي يُعد من أكبر أثرياء العالم؛ ولأن كريستينان وريثته الوحيدة فقد ورثت عن أبيها كُل ثروته الهائلة؛ إلا أن ذلك لم يُحقق لها السعادة التي تبحث عنها؛ فقد تزوجت عدداً من المرات؛ وكان زواجها الأخير من أحد الشيوعيين؛ حيث سئمت حياة الترف والثروة؛ وذهبت لتعيش مع زوجها في منزل مُتهالك في أحد أحياء مُوسكو الفقيرة؛ إلا أن الفشل لاحقها في هذا الزواج أيضًا؛ ففارقت زوجها بعد أن أُصيبت باكتئاب مُزمن وحُزن مرضي مُتصل؛ ولم تستطع الثروة والمال أن تُحقق لها أبسط معاني السعادة الإنسانية؛ وأقل درجات الرضي والطُمأنينة؛ فقررت الانتحار.

ووجدت ميتة على أحد السواحل الأرجنتينية؛ بعدما ابتلعت عدداً كبيراً من الحبوب المُنومة؛ وكان عُمرها آنذاك سبعة وثلاثين عامًا فقط.

أما المُغنية المصرية داليدا فلقد اختارت نفس النهاية؛ فإنها خرجت من أحد الأحياء الشعبية الفقيرة في القاهرة لتُسافر إلى فرنسا عام ١٩٥٦ م؛ وحققت هُناك شُهرة واسعة لم تصل إليها أي مُغنية عربية من قبل؛ وباعت على مدى عشرين عامًا

ما يزيد على ٨٥ مليون شريط لـ ٦٠٠ أغنية بثمان لغات؛ وحصدت الكثير من الجوائز والأوسمة العالمية؛ ولكنها مع ذلك ضاقت بالحياة؛ وسئمت الأضواء؛ واستسلمت لليأس؛ وأرادت النهاية؛ حيث استيقظ العالم في أحد أيام ١٩٨٧م على خبر انتحار المُغنية داليدا لالتهامها عدداً كبيراً من الأقراص المُنومة؛ ووجدت بجانبها رسالة تقول فيها: الحياة لا تُحتمل... سامحوني.

ولا ننسى (مارلين مونرو)؛ نجمة السينما الأمريكية الأكثر شُهرة عالميًا؛ تلك التي تربعت على عرش السينما العالمية سنين طويلة؛ ودخلت البيت الأبيض بارتباطها بعلاقات مُحرمة مع الرئيس الأمريكي جون كيندي؛ ومع أخيه روبرت... وحتى اليوم رغم مرور ثلاثين عامًا على وفاتها؛ إلا أن الإعلام ما زال يتكلم عنها في كُل ذكرى لوفاتها؛ ومازال كثير من صورها يُباع حتى اليوم بالملايين؛ حتى صارت أشبه بالأسطورة السينمائية التي يُمجدها الغرب في كُل مُناسبة؛ ولكن مارلين مونرو رغم شُهرتها الواسعة عالميًا كانت غير سعيدة؛ وصرحت بذلك عدداً من المرات؛ وكانت مُصابة بقلق حاد وكآبة مُستمرة؛ بل أُصيبت في آخر أيامها بالهستيريا.

ولم تُطق ذلك العذاب؛ وبعد أيام صُعق المُجتمع الأمريكي بخبر انتحار مارلين مونرو نجمة السينما الأمريكية وهي في أوج شُهرتها؛ وذلك بالتهامها الكثير من الحبوب المُنومة.

والكثير من الأسماء يُمكن إضافتها إلى هذه القافلة البائسة؛ مثل الروائية الإنجليزية الشهيرة (فرجينيا وولف)؛ حيث أخذت طريقها في البحر ووضعت حجراً ثقيلاً في ملابسها؛ وألقت بنفسها في البحر؛ ولم تُكتشف جُثتها إلا بعد ثلاثة أيام؛ وكانت قد تركت لزوجها رسالة تقول فيها: سأفعل ما أراه أفضل.

أيضًا الدكتورة (دُرية شفيق)؛ التي حصلت على الدكتوراة من باريس؛

وأسست أول حزب نسائي في مصر ؛ وأصدرت عدداً من المجلات ؛ وقادت الثورات والمُظاهرات المُطالبة بتحرير المرأة ؛ ثُم كانت نهايتها بأن ألقت بنفسها من شقتها في الدور السادس .

كذلك الكاتبة (أروى صالح) التي كانت تكتب في كثير من الصُحف والمجلات الشهيرة ؛ ضاقت بالحياة وألقت بنفسها هذه المرة من الدور العاشر ؛ وذلك قبل عدة أعوام .

وأيضًا المغنية اللبنانية (داني بسترس) ؛ فلقد انتحرت هي الأخرى بعدما سئمت الحياة ؛ فقامت بإطلاق الرصاص على نفسها .

وآخر من انتحروا المُمثلة المصرية الشهيرة (سُعاد حُسني) التي ألقت بنفسها من الدور السادس من إحدى عمارات العاصمة الفرنسية باريس ؛ وإن كان الأمر يُوجد به اشتباه في جريمة ؛ وذلك لأنها لم تترك أي رسالة تُؤكد أنها انتحرت ؛ إلا أن الأطباء المُختصون الذين كانوا يُعالجونها أكدوا أنها كانت مُصابة بالاكتئاب الشديد ؛ والحُزن بسبب زيادة وزنها ؛ وتحول وجهها إلى الكبر والعجز ؛ والله أعلم بما حدث لها ؛ ولكنها كانت مُصابة هي الأخرى بالاكتئاب الشديد الذي أصاب العديد من المشاهير والأغنياء .

وبالطبع هُناك الكثير والكثير من النساء والرجال الذين انتحروا بسبب سيطرة الاكتئاب والحُزن على حياتهم الخاوية والخالية من الدين والإيمان ؛ لذا أخبرنا الدين الإسلامي أن قتل النفس خطأ كبير ؛ وهذا بالطبع ما أكدته جميع الأديان السماوية السابقة له سواء كانت مسيحية أو يهودية ؛ ذلك لأن الحفاظ على الحياة كان من أساس استمرار الإنسان واستمرار معيشته على الأرض ؛ فسُبحان الله لو علم هؤلاء المُنتحرون الاطمئنان والسكون الذي يُكسبه الدين لصاحبه ؛ لفكروا ألف مرة قبل أن يكتئبوا ؛ ولفكروا مليار مرة قبل أن يُقدموا على أمر كريه كالانتحار .